آلية الحفاظ على المخطوطات في أيام الخطر

أ.د. مصطفى موالدي(*)

تُعد المخطوطات العربية، التي ألَّفها العلماء العرب والمسلمون، لبنة من لبنات صرح الحضارة الإنسانية في جميع فروع المعرفة البشرية.

وتأتي أهمية الحفاظ على المخطوطات العربية وتحقيقها ودراستها ونشرها من أنها مظهر من مظاهر النشاط الفكري المعرفي في الحضارة العربية، المؤثِّر في تطور الحضارة الإنسانية بشكل ملموس.

ركَّزت ورقة العمل على آلية الحفاظ على المخطوطات في أيام الخطر من خلال مجموعة من الإجراءات.

تتعرض المخطوطات للعديد من المخاطر نتيجة:

- لعوامل إنسانية (الحرب والسرقة والتمزيق والتشويه والحك والإهمال،...)،
- ولعوامل فيزيائية وكيميائية (الحرارة والضوء والرطوبة، وطبيعة الورق والحبر والغبار،...)،
- ولعوامل بيولوجية (القوارض والحشرات والديدان والفطريات،...)،

وقد تتداخل تلك العوامل في المكان والزمان، ولذلك لا بد من اعتماد مجموعة من الإجراءات المتكاملة للحفاظ على المخطوطات قبل حدوث

(*) عميد معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب.

المخاطر، وأثناء حدوثها وبعدها، وكذلك تكون تلك الإجراءات متداخلة بالزمان والمكان، ولكنها تسعى لهدف واحد وهو المحافظة على هذه الثروة القومية والإنسانية الفريدة وغير المتجددة.

سنشير إلى حزمة من الإجراءات الضرورية الواجب اتخاذها للمحافظة على المخطوطات وهي:

١- تصوير كافة المخطوطات الوطنية (العامة والخاصة) تصويراً رقميًّا دقيقاً، وعلى عدة نسخ، وحفظها في أماكن مختلفة بحيث تكون آمنة، وكذلك تصويرها تصويراً ورقيًّا - انطلاقاً من النسخة الرقمية لأنه لا يجوز تعريض المخطوطات للضوء مرّاتٍ عديدة - وتجليدها وحفظها في مستودعات متخصصة ومجهزة بوسائل الحفظ المناسبة.

٢- إعداد فهارس نوعية تخصصية بالمخطوطات، وتعميمها على الجهات الثقافية الوطنية والدولية، إثباتاً لملكية تلك المخطوطات، ولتعميم الفائدة العلمية منها.

٣- تكليف إحدى مديريات وزارة الثقافة بإعداد سجل رسمي لتسجيل المخطوطات العامة والخاصة مع صفاتها الدقيقة، وتحديد ملكيتها، بحيث يمكن نقل ملكية المخطوطات العامة والخاصة بواسطة الجهات الحكومية العامة فقط - فيما إذا طُلب ذلك -، وضمن حدود الوطن حصراً. بحيث يشابه سجل المخطوطات السجل العقاري من الناحية الحقوقية والقانونية.

٤- توزع المخطوطات الأصلية على عدة أماكن آمنة، وينبغي عدم حفظها في مكان واحد حرصاً على سلامتها، وتُعد الخريطة الجغرافية لتوزيع المخطوطات من أسرار الدولة العليا.

٥- يمنع إخراج المخطوطات الأصلية بأي شكل من الأشكال خارج حدود الوطن.

٦- معالجة وسائل حفظ المخطوطات (أقراص C.D، أشرطة مِكروفِلْم، شرائح المِكروفيش، النسخ الورقية المصورة عن المخطوطات الأصلية) دوريًّا، والمحافظة عليها من التلف وفقدان المعلومات.

٧- سَنُّ القوانين والتشريعات الخاصة بحماية المخطوطات على مستويات وطنية وقومية وعالمية.

٨- الانضمام إلى الاتفاقيات الدولية المهتمة بحماية التراث الثقافي وبخاصة المخطوطات.

٩- حماية الموظفين المهتمين بالحفاظ على المخطوطات من طريق الاتفاقيات الدولية.

١٠- إنشاء صندوق عربي خاص لتمويل حماية المخطوطات.

١١- غرس وتعميق روح الاحترام الواجب إزاء الثقافات والممتلكات الثقافية والإنسانية لدى المواطنين بكافة فئاتهم.

١٢- التخطيط القَبْلِيُّ والدقيق والمنظم لحماية المخطوطات وطرق نقلها إلى أماكن آمنة في حال اندلاع الحروب. مثال التخطيط الدقيق: إفراغ متحف اللوفر في باريس من جميع مقتنياته قبل دخول الجيش الألماني إلى باريس أثناء الحرب العالمية الثانية.

١٣- تحضير ملفات قضائية، تطالب الدول التي حازت مخطوطات أصلية من دول أخرى بطرق غير شرعية بإعادتها بعد تحديد صفات تلك المخطوطات بدقّة، وإثبات ملكيتها.

إعداد المخابئ المناسبة لحماية الممتلكات الثقافية ومنها

المخطوطات، بحيث تكون في مناطق آمنة بعيدة عن المناطق الحيوية والاستراتيجية المستهدفة من الجهات المتنازعة، وبحيث تكون تلك الأماكن بعيدة عن التلوث الجوي، ومجهزة بجدران خاصة تحفظ المقتنيات من الحرائق والزلازل، ويستحسن استخدام الخزائن الحديدية الكبيرة جدًّا لحفظ المخطوطات - غرفة المخطوطات هي خزانة حديدية مصفَّحة ومجهزة بأقفال خاصة كما في خزانة المخطوطات الرئيسة في مدينة قونية بتركيا -.

ويجب تجهيز تلك الخزائن برفوف معدنية متحركة، واستخدام نوعية الكهرباء المناسبة التي لا تضر بالورق، وتوفير درجة الحرارة والرطوبة المناسبتين، وتزويدها بأجهزة إنذار مبكِّر بوقوع الحرائق وأجهزة إطفاء الحرائق من النوعية الممتازة، وكذلك استخدام المواد المعقِّمة المتبخرة داخل تلك الخزائن لمكافحة آفات المخطوطات.

١٤- تأسيس مخابر لترميم المخطوطات ومعالجتها من الجفاف والحشرات الضارة وغيرها من الأمراض التي تصيب المخطوطات وتعقيمها.

أخيراً: تحتاج الإجراءات السابقة الذكر لميزانيات ضخمة ولجهود جبارة ومضنية، ويجب القيام بمعظمها قبل حدوث المخاطر، ولكن هذا الإرث العظيم المتمثل بالمخطوطات والذي يمثِّل ويميِّز حضارتنا العربية والإسلامية عن باقي الحضارات الإنسانية من حيث الكم والكيف، يستحق هذا الاهتمام، لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بذاكرتنا وبوجودنا الحضاري على سطح البسيطة.

* * *